

عظة الأحد الثاني من لوقا (لوقا ٦: ٣١-٣٦)

يا أحبائه يقول لنا الرب يسوع في إنجيل اليوم يقول لنا آية تعلّمنا الكثير نحن البشر وخاصة نحن الذين نقول إننا نؤمن باسمه القدوس ونريد أن نعيش بحسب وصيته الإلهية. قال الرب في الإنجيل الذي سمعناه اليوم " كما تريدون أن يفعل الناس بكم كذلك افعلوا أنتم أيضا بهم". قد تجسّد هذه الآية من الناحية العملية المعاشة، الإيمان واللاهوت الذي نؤمن به والذي نتكلّم به المسيحية إنّ المسيح الذي نؤمن به، الإنجيل كلمة الله الذي نؤمن به، حياة وليس كلاماً يخاطب العقل وليس أفكاراً جميلة بل هو أكثر من فلسفة وأكثر من أفكار جميلة، هو جميل جداً "علم العلوم وفلسفة الفلسفات"، ولكن الأكثر جمالاً في هذه الفلسفة وهذا العلم الإلهي هو أنّه يمر في العقل وفي الذهن أولاً ثم ينطلق إلى القلب ومن القلب يتفجّر إذا جاز التعبير، يتفجر في كيان الإنسان، في أعضاء الإنسان، في حواس الإنسان، في كل أعضائه وفي كل حواسه فيصبح الإنسان بكلّيته وبكل كيانه وبكل عضو من أعضائه وبكل حاسة من حواسه وبكل فكرة من أفكاره ويحيا ويعيش (لا يتكلّم وحسب بل يتكلّم ويحيا بحسب ما يقول).

إنّ هذه الآية اليوم قد تكون دستوراً في حياة كل واحد منّا، دستور حياتي، دستور عملي، هكذا وبكل بساطة يقول الرب "كما تريدون أن يفعل بكم الناس هكذا افعلوه أنتم أيضاً".

ويشرح الرب إذ يقول إن أنتم أحببتم الذين يحبونكم فأني فضل لكم، إذا كان هذا الإنسان لا يحب إلا الذين يحبونه فأني فضل له، إذا أحسنتم للذين يحسنون إليكم فأية منّة لكم فإنّ الخطاة أيضاً يفعلون كذلك.

الناس جميعهم يتصرفون هكذا، إذا أنا أحببت الذين يحبوني فهذا ليس بشيء عظيم، كل إنسان يستطيع أن يحب الذين يحبونه، وكل إنسان يستطيع أن يحسن للذين يحسنون إليه، وأي إنسان يستطيع أن يعطي منتظراً أن يأخذ أكثر، غير أن الرب يقول "إذا أردتم أن تفعلوا شيئاً حسناً أحبوا أعداءكم وليس الذين يحبونكم فقط، أحسنوا وأعطوا غير منتظرين أو مرتجيين أن تتألوا أجراً كثيراً مما أعطيتهم".

نعم يا أحبة، في كثير من الأحيان يحب الإنسان الآخرين، إلا أنّه ينبغي عليه أن يسأل نفسه: هل محبته للآخرين هي محبة صادقة وخاصة؟ أم محبته مجبولة بشيء آخر، "بأنانيته"؟ هل هو يحب الآخرين لأنهم يحبونه؟ يرتاح معهم ولهذا يحبهم، أو لأنه من حيث لا يعي يطلب راحته لأنه يرتاح بهذه المحبة ويرتاح بهذا العطاء ويشعر بأن هناك مردوداً ينعكس عليه إيجابياً؟ إذا أردت أن تكون في محبة أعمق، في محبة أكثر، إذا أردت أن تعطي أكثر، أن تحب وأن تعطي دون أن ترجو شيئاً عدى وجه الله، فأنت تحب من تحب وتعطي من تعطي لأنك تحبه هو لا لأنك تحب نفسك، ولهذا يقول الرب "أحبوا أعداءكم" لأنك لا تترجى أن يحبوك هم ولا أن يعاملوك بشكل جيد، "يجب أن تحبهم".

إذاً، يعطينا الرب اليوم ويعلمنا ويذكرنا بأمر مهم جداً نستطيع أن نجعله دستوراً عملياً حياتياً في حياة كل واحد منّا ألا وهو أن نظل متذكّرين هذه الآية ونقول "كما تريد أن يفعل الناس بك هكذا أفعّل أنت بهم".

أي واحد من الناس لا يريد أن يعامله الآخرون وأن يتحدثوا إليه بشكل جيد.

منّ من الناس لا يريد أن يحترمه الآخرون.

منّ من الناس لا يبنزعج إذا اعتبر أن الشخص الآخر أهانه أو أنّه لم يحترم كرامته.

مَنْ مِنَ النَّاسِ لَا يَنْزَعُجُ إِنْ شَعَرَ أَنَّ الْآخَرَ مُرَّاءٌ وَأَنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيْهِ. وَقَسَّ عَلَ ذَلِكَ بَقِيَّةَ الْأُمُورِ، إِيْجَابِيَّةٌ كَانَتْ أَمْ سَلْبِيَّةٌ.

مَنْ مِنَ النَّاسِ لَا يِرْتَاحُ عِنْدَمَا يَشْعُرُ أ، الْآخَرِينَ يِعَامِلُونَهُ حَسَنًا.

مَنْ مِنَ النَّاسِ لَا يَنْزَعُجُ عِنْدَمَا يَشْعُرُ أَنَّ النَّاسَ يِعَامِلُونَهُ بِشَكْلِ سَيِّئٍ. يَنْكُرُنَا الرَّبُّ الْيَوْمَ بِأَنَّهُ "إِذَا كُنْتَ تِرْتَاحُ عِنْدَمَا يَقُولُ لَكَ أَحَدٌ قَوْلًا حَسَنًا فَأَنْتِ أَيْضًا تَنْكُرِينَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ الْحَسَنَ"، عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ هَذَا الْقَوْلَ الْحَسَنَ وَإِنْ قِيلَ عِنْدَكَ السُّوءُ وَلَا تَنْتَظِرُ أَنْ يُقَالَ لَكَ الْقَوْلَ الْحَسَنَ فِتْبَادِلَهُ بِدُورِكَ بِالْقَوْلِ الْحَسَنِ نَفْسَهُ، لَا، أَنَا أَقُولُ الْقَوْلَ الْحَسَنَ وَأَتَصَرَّفُ كَمَا أَشْتَهِي أَنْ يُتَصَرَّفَ مَعِيَوُ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ نَوْعِيَّةِ هَذَا التَّصَرَّفِ.

أَتَصَرَّفُ مَعَ النَّاسِ وَيَتَصَرَّفُونَ مَعِيَ وَالرَّبُّ الَّذِي يَرَى فِي الْخِيفَاءِ يَجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ مَعًا فَعَلَ فِي حَيَاتِهِ.

لِذَلِكَ يَقُولُ: فَهُوَ مُنْعَمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالْأَشْرَارِ، فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ هُوَ رَحِيمٌ.

نَعَمْ يَا أَحِبَّاءَ، هَذَا هُوَ إِلَهَانَا وَلَيْسَ إِلَهًا عَظِيمًا مِثْلَ إِلَهَانَا، هُوَ الرَّبُّ الصَّانِعُ الْعَجَائِبِ وَحْدَهُ، هُوَ إِلَهُ الْمُحِبِّ، هُوَ إِلَهُ الَّذِي قَدَّمَ نَفْسَهُ كَفَّارَةً عَنِ خَطِيئَاتِنَا نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِهِ وَنَسِيرُ نَفْسِ الدَّرْبِ الَّذِي سَارَهُ وَنَرِيدُ أَنْ نَنْشَبَّهُ بِهِ. يَعْلَمُنَا الْيَوْمَ هَذَا الدَّرْسَ وَهُوَ أَنْ نَتَذَكَّرَ الْمَحَبَّةَ الَّتِي هُوَ أَحَبُّنَا بِهَا وَالْعَطَاءَ الَّذِي أَعْطَانَا إِيَّاهُ عِنْدَمَا قَالَ: لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ حُبٌّ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يَبْذُلَ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ أَحِبَّائِهِ. نَعَمْ، كَمَا تَرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا أَفْعَلُوهُ بِالنَّاسِ.

إِنَّ الرَّبَّ الْإِلَهَ، بِشَفَاعَةِ الْعِذْرَاءِ مَرْيَمَ وَجَمِيعِ الْقَدِيسِينَ، يُعْطِي الْقُوَّةَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لِكَيْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَجْسُدَ فِي حَيَاتِهِ هَذَا الْإِيمَانَ الْمَسِيحِي، أَنْ يَجْسُدَ الْإِنْجِيلَ فِي حَيَاتِهِ، أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَةَ الرَّبِّ وَأَنْ تَخْتَرِقَ كَلِمَةَ الرَّبِّ عَقْلَهُ وَذَهْنَهُ دُونَ أَنْ تَتَوَقَّفَ فِي ذَهْنِهِ فَقَطْ، يَجِبُ أَلَّا يَكْتَفِي بِأَنْ تَتَوَقَّفَ كَلِمَةَ الرَّبِّ فِي ذَهْنِهِ بَلْ أَنْ تَهْبِطَ إِلَى الْكِيَانِ وَالْعَمَقِ وَمِنْ ثَمَّ أَنْ تَتَفَجَّرَ فِي حَيَاتِهِ وَأَعْضَائِهِ، فِي كُلِّ تَصَرَّفٍ مِنْ تَصَرَّفَاتِهِ، فِي كُلِّ قَوْلٍ مِنْ أَقْوَالِهِ، فِي كُلِّ نَظَرَةٍ مِنْ نَظَرَاتِهِ، فِي كُلِّ لَمْسَةٍ مِنْ لَمْسَاتِهِ، فِي كُلِّ تَحْرُكٍ مِنْ تَحْرُكَاتِهِ، حَتَّى يَشْهَدَ لِلرَّبِّ، وَالنَّاسِ الَّذِينَ يَرُونَ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ يَمَجِّدُونَ أَبَاهُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.

هُوَ الْمُبَارَكُ وَهُوَ الْمَمَجَّدُ إِلَى الْأَبَدِ آمِينَ...